٢

الميلاد والطفولة

متى ١ و ٢؛ لوقا ١ و ٢

تأليف: ب. س. دين

١. سلسلة من الرؤى.– يبدأ تاريخ الإنجيل بسلسة من أربع رؤى.

أ. رؤية زكريا.– كان زكريا كاهن متقدم في العمر بلا لوم في الحياة. وبينما كان هو منهمكاً في خدمته في الهيكل، ظهر له الملاك جبرائيل الذي كان قد أوحى إلى دانيال النبي بمجيء المسيح إلى العالم (دانيال ٩:٢١–٢٣ و ٢٥)، وأعلن أن صلاته ستستجاب وان زوجته أليصابات ستلد ابناً. كعلامة لأتمام الموعد، كان عليه ان يبقى صامتاً ولايتكلم حتى أتمام الوعد.

ب. رؤية مريم.– كانت لأليصابات نسيبة اسمها مريم من نسل داود. وكانت فتاة لم تتزوج بعد، مع انها كانت مخطوبة لرجل اسمه يوسف. أُرسل إليها الملاك بخبر سار مفاده انها أيضاً ستلد ابناً: ولأن هذا من عمل الروح القدس، سيسمونه ابن الله ويكون هو مخلص الناس. ومن شدة الفرح، سافرت من مدينتها الناصرة التي في الجليل إلى جبال يهودا لزيارة قريبتها.

ت. رؤية يوسف.– عند عودتها إلى الناصرة، قمع الحزن فرح مريم، لأن الخطوبة بين اليهود كانت مقدسة كالزواج، وما حدث يبين أن مريم أنتهكت التعهد وهذا يعرضها إلى موت شنيع. ولكن رؤية ثالثة أوضحت ليوسف أهمية الأحداث السامية، وأضاف للابن الاسم «عمانوئيل» ويعني الله معنا (متى ١:٢٣؛ إشعياء ٧:١٤).

٢. المذود المهد.– في الوقت المعين تم كلا من الوعدين. وبناءاً للتوجيه الإلهي، سُميَ ابن زكريا وإليصابات يوحنا. وبعد أشهر قليلة أنجبت مريم ابنها البكر، وتمشياً مع الرؤية أسمياه يسوع – أي المخلص. هنا كما في مختلف الطرق الأخرى تضامنت خطة الإنسان بطريقة غير معروفة مع القصد الإلهي. كان يجب أن يولد المسيح في بيت لحم (ميخا ٥:٢). كان موطن مريم بعيداً في الناصرة. ولكن بأمر من أوغسطس قيصر أُرسل يوسف ومريم إلى بيت لحم قريتهما. أثار المخاض أخرجت مريم من البيت، حيث كان مزدحماً في الداخل، فوجد الخطيبان الفقيران مثل هذا الملجأ والذي كانا يمكنهما الحصول عليه حتى في الوقت غير المزدحم. بينما كان أوغسطس منشغلاً هناك بخطط الأمبراطورية الواسعة، وكان هيرودس يدبرالخطط لارتكاب الجرائم وفي العالم الكبير يسعى كل واحد وراء سبيله، والكل غير مدرك بالحدث الهام جداً، وُلد الإنسان الإله.

٣. رؤية الرعاة.– حتى الأرض لم تعلم بمجيء ملكها، ولكن السماء لم تستطيع السكوت. جاء الملائكة بالأنباء السارة وغنوا أنشودة «على الأرض السلام» ليس للملوك وحاشيتهم، ليس لكاهن فخور أو فريسي مغرور، بل للرعاة البسطاء الذين قاموا بزيارة مهده المتواضع وهم أول الناس على الأرض الذين قدموا الإجلال لفادي العالم. وكانوا هم المبشرين والممثلين الناس العاديين الذين يسمعوه بسرور (أنظر مرقس ١٢:٣٧) والذين كونوا أكبر جزء من تلاميذه.

٤. المجموعة في الهيكل.– تم الختان والتسمية حسب عادة اليهود في اليوم الثامن. وعند نهاية اليوم الأربعين، ذهبت مريم إلى أورشليم التي تبعد مسافة ستة أميال لتقوم بالتقدمات المطلوبة في مثل هذه الحالات (لاويين ١٢). «ظهر رب الهيكل في هيكل الرب»

كان فقرهما الملحوظ (أنظر لوقا ٢:٢٤؛ لاويين ١٢:٨) جعلهما يجلبا قليلا من انتباه الكاتب والكاهن في المكان الفخم. ولكن حتى هناك، كما كان في جبال بيت لحم، هناك نفوس مكرسة مفتوحة للتعاليم الإلهية ومضطربة بالبهجة إدراك المسيح المنتظر. ذُكر اثنين مثل سمعان المتقدم في العمر و حنة، انهما ممثلان لروح النبوة الذي كان قد عظم الأمة اليهودية وكانا أول من أعلنا جهراً أن يسوع هو المسيح.

٥. زيارة المجوس.– ولكن القرويين والذين بهم روح النبوءة لم يكونوا الوحيدين الذين تجمعوا حول مهد الطفل في بيت لحم، اضطربت النفوس من مسافات بعيدة بالرؤيا. كان العالم الوثني ممثل في الدائرة التي قدمت الإجلال للمسيح. «ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك، إذ مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين: أين هو المولود ملك اليهود؟ فإننا رأينا نجمه في المشرق وأتينا لنسجد له» (متى ٢:١ و ٢). والتقاليد الدائمة عما كان هؤلاء المجوس ومن أين أتوا، والتخمينات عن الطبيعة العلمية للنجم والمحاولة لقياس ذكاءهم، كل هذا لا فائدة منه. ولكن هؤلاء المجوس يمثلون كل ما نسعى وراءه وما يحتاج إليه العالم الضال نبؤة الزمان عندما يأتي كل عبدة الأوثان ويشاركوا في السجود الرائع لملكنا.

٦. أمر من هيرودس والهروب إلى مصر.– كان هيرودس يضعف بسبب آلام الشديد من المرض الذي يعاني منه، وكانت لديه كل اسباب عدم الاستقرار لأن عرشه كان قائماً على ضحايا حسده. الخيانات المبطنة منتشرة في كل أرجاء مملكته. وفي ضروف مثل هذه ولأنسان مثله، كان الخبر الذي نقله المجوس مثل طعنة الخنجر، ولكن ذلك الخبر كشف كلا من خوفه وهدفه في القتل، فطلب من المجوس العوده وأخباره عن مكان الطفل متى وجدوه. وخضوعاً للتصميم الإلهي، رجع المجوس من طريق آخر إلى وطنهم. فأنقلب هيرودس بوحشية على أبرياء بيت لحم والمناطق المجاورة لها. ولكن لا شيء ينهي حياة ذلك الطفل يسوع حتى يكون مستعدا للأستسلام للتضحية التطوعية بسبب الخطية، «طعن العش بسيفه ولكن الطير قد طار». كان يوسف ينفذ التوجيهات الإلهية وهرب إلى مصر خارج نطاق حكم هيرودس، ولكنه مازال محاطا بأعداد كبيرة من اليهود. مات هيرودس بعد وقد قصير، وحكم أبنه الخائف أرخيلاوس الذي خلف والده في العرش والسياسة في يهودا، وعند ذلك رجع يوسف إلى موطنه في الناصرة.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧